التفسير و التأويل وعلاقتهما بالبلاغة

أ.يوسفي يوسف

جامعة ابن خلدون – تيارت

إنّ دراسة القرآن الكريم قد حفزت الباحثين على دراسة الشّعر العربي، باعتباره الأساس الأوّل للغة العربية، كما أنّ هذه الدراسة أدت دورا كبيرا في تطوير المعرفة بالبلاغة وبالنّقد والتي كان لها دورها البارز في دراسة المجاز ودلالته، وأثره، ولقد اقترن القرآن الكريم بفهم اللّغة التي أُنزل بها، والتي استُثمرت فعاليتها من قبل المتكلّمين الّذين شُغلوا بتنزيه النّص القرآني، فبات كلّ مؤوّل يستند في تأويله إلى أسس تلك اللغة، باعتبارها حجّة على صحّة ما يُؤَوَّل. ولما كان النّحو أساس اللّغة، فقد امتدّ مع البلاغيين إلى التدليل على تفوّق النّص القرآني، وانسجامه، فالتبس بالبلاغة؛ وانتقل البحث من التنزيه إلى البحث عن مزيّة الخطاب القرآني، واستعلائه بلاغيا وجماليا على النّص العربي. لذلك انشغل البلاغيون "بتبرير انزياحات تعابير النّص القرآني عن القواعد الجديدة، فأثاروا مجموعة من الأسئلة الفكرية حول انسجام النّص القرآني"[(1)].

بدأت هذه الاقتراحات في القرن الرابع الهجري، واتخذت لنفسها منحى يتوخّى بيان إعجاز القرآن، على يد **الرّماني** (ت. 386هـ) و**الخطّابي** (ت. 388هـ) و**الباقلاني** (ت. 403هـ) و**الجرجاني** (ت. 471هـ) الذي أفرد الكلام في الإعجاز العام في (الرسالة الشافية)، بينما تناول الإعجاز البلاغي في الدّلائل بصورة مباشرة. لذلك كان البحث عن مناحي الإعجاز، من الأسباب الرئيسة التي دفعت إلى دراسة اللغة العربية، وبخاصة إذا تعلّق الأمر بالمجاز والبحث عن أثر الدلالة في مختلف صورها.

لقد شغل علم الدلالة الباحثين منذ القدم، كونه يؤدي إلى إدراك وفهم المعنى بكيفية أصيلة، أو قل هو البحث المستمر عن قصدية الخطاب، وذلك لوجود تلك العلاقة الوطيدة بين الدال والمدلول وفق ظاهرتي الحضور والغياب التي يبحث عنها المتلقي ويقيِمُهَا . ولقد كان المخاض

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

عسيرا في استنطاق الدرس الدلالي بفضل جهود الكثير من العلماء الذين وضعوا الأسس الأولى لنظرية الدلالة، انطلاقا من الدور الذي لعبه الأصوليون في استثمار الدلالة اللغوية في قراءة النّص، توظيفا للإجراء اللغوي في البلاغة حقيقة ومجازا .

فقد اعتبر المجاز من أهم الأدوات اللّغوية مُساهمة في أدبية القول وجماله، ولم نَرَ عند أهل البلاغة، من أنكر منزلته وفضّله في الكلام، لأنّه يسعى إلى "إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير، حتى يكاد يُنظر إليه عيانا"[2].

لقد عالج أهل اللّغة ورجال الأصول على حد سواء، قضية الحقيقة والمجاز معالجة واسعة لاتّصالها بالدلالة، والتي كان لها الأثر البارز في إثراء المنظومة الأصولية على وجه الخصوص، إذ اجتهدوا في وضع اللفظ في إطاره النّظري، فكلّ ما استعمل على الحقيقة كان ظاهرا، وكل ما استعدى التأويل كان مجازا، والّذي بدأ في أخذ دوره حين انطلق الحوار بين التّوسع النّحوي، والمجاز في النّصّ القرآني.

أما في مجال الممارسة فقد دار الكلام حول التطبيقات المجازية في القرآن، ففُسّرَت آيات كثيرة احتملت أكثر من معنى. فقد ذكر المفسّرون من الآيات ما تشاكلت فيها، المعاني فقبلت التأويل على الحقيقة وعلى المجاز معًا بدون تفضيل أو ترجيح. كما أنّ هناك آيات أخرى كانت محلّ خلاف بين المفسرين، بناءً على "حجج متنوّعة الأجناس، تتراوح بين الحجّة المذهبية والحجّة الموضوعية في إطار الاجتهاد في فهم مقاصد القرآن"[3]، ومثال ذلك ما ذكره الزمخشري في تفسيره لقوله عز وجلّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[**الأعراف**/ 204] يفسّرها على وجهين، أن المراد الاستماع على الحقيقة وقد يحتمل العمل الناتج من فعل الاستماع[4].

فالملاحظ أن المجاز إدراك بلاغي، ما فتئ البلاغيون ينقّبون عن مكامنه بحثًا عن الدلالة، ولاسيما إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم . لقد انصرفوا باهتمامهم إلى تحليل مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم "فانشغلوا بوضع قوانين لتفسير الخطاب البياني، وبكيفية خاصّة الخطاب القرآني، الذي يمثّل أعلى مراتب البيان"[5]. لأنّ الخطاب القرآني طرح على الصعيد البلاغي جملة من المفارقات، ساهمت بشكل حاسم في تحديد موقف البلاغيين من علاقة الشكل بالمضمون، ووظيفة الصورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفنية باعتبارها طريقة في التعبير، فالقرآن مضمون، قوامه الدعوة إلى عقيدة جديدة مؤسسة على بعد روحيٍ ودُنيوي، متجه إلى الناس كافة؛ ولبلوغ غايته يقتضي أن يكون المستوى اللغوي الحامل للرسالة مفهوما من قبل المتلقّين.

غير أنّ التّكمين لهذه الدعوة في قلوب المستقبلين لها وعقولهم، اقتضت أن يكون البناء النّصّي القرآني في غاية من الفصاحة والبلاغة، بحيث يعجز العقل البشري عن مجاراته، لأن في القرآن ما خرج عن الطريقة المألوفة في تصريف اللغة إلى طريقة إبلاغية أخرى حارت الألباب في الإتيان بمثلها. ثم إن القرآن العظيم يؤكد وهو يتحدى من تسوّل له نفسه مجاراته، ويؤكد في مواضع كثيرة من القرآن أنه بلاغ(6) يتوخى إيصال المعنى إلى المتلقي. لقد بقي علماء البلاغة يبحثون عن الحل الأمثل لهذه المعادلة، بالبرهنة على أنه كلام عربي مبين، لا تختلف وسائله ومادّته عما يستعمله الناس في مخاطباتهم ومحاوراتهم وأشعارهم، وفي الوقت نفسه هم عاجزون عن محاكاته أو الإتيان بمثله.وعلى هذا النحو قامت دراسات بلاغية تفسّر النص القرآني، وفي الوقت نفسه تكتشف فيه أسرار إعجازه، فسارع جمهور البلاغيين للبحث عن تلك الأسرار التي تخدم القرآن والبلاغة عموما.

ولعل **عبد القاهر الجرجاني** حلقة فريدة في تاريخ البلاغة العربية، التي تجاوزت تلك الثنائية المتمثلة في أفضلية اللفظ على المعنى؛ فلقد كانت علاقة اللّفظ بالمعنى الشغل الشاغل لكل أولئك الدارسين سواء أكانوا منشغلين بالبلاغة أو بالنحو، وهذا ما يفسره الخلاف بين علماء الكلام والفرق الدينية في أكثر من مسألة، إلى جانب ارتباط إشكالية اللّفظ والمعنى ارتباطا مباشرا بمسألتي التأويل والإعجاز، فإننا نجدها قدحظيت باهتمام البلاغيين من زاوية المفاضلة والامتياز، ودور المعنى في التأويل والبيان، وكان الجاحظ أوّل من أثار القضية، بإعلائه لشأن اللّفظ على حساب المعنى.

إنّ البلاغيين قبل الجرجاني أعلوا من شأن اللفظ على حساب المعنى، ناظرين في ذلك إلى خصوصية اللغة العربية، متخذين كلام العرب إطارًا مرجعيًا لهم، وبالتالي نجدهم يرجعون العملية البيانية إلى اللفظ، هذه القضية التي اتّخذت منحى آخر مع الجرجاني إذ عدل عن اللفظ إلى ما يُعرف بالنّظم، فبحث في الدلائل عن معايير بلاغة الشعر لينتهي بعد تحصيل هذه المعايير، إلى تفوّق القرآن العظيم، وانسجامه واتّساقه، وجمال رصف آياته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي اعتبار الجرجاني أن الألفاظ خادمة للمعاني، ولا تنظم إلاّ بانتظامها، يقول: "لا يتصوّر أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ، ترتيبا ونظما وأن تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك. فإذا تمّ لك ذلك، أتبعها بالألفاظ...، وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النّفس، علم بمواقع الألفاظ الدّالة عليها في النّطق"[7].

تلك هي معالم النظام البياني التي أسسها الجرجاني انطلاقا من نظرية النّظم، التي تعتبر مجالا خصبا لفقه الخطاب عموما، والخطاب القرآني على وجه الخصوص، ولذلك ربطناها بإشكالية التّأويل التي ليست إلاّ قراءة استظهارية استكشافية، تفكك الكلام وتكشف عن أصالته و فرادته، ومن ثم كان الجرجاني منشغلا دوما بالبحث عن أسباب إعجاز القرآن، وللوصول إلى ذلك لابد من التفريق بين كلام البشر وكلام الله الذي وصل في النهاية إلى أن السبب هو امتيازه بذلك النظام المحكم .

نظرية النظم وعلاقتها بالتأويل عند عبد القاهر الجرجاني (ت. 471هـ):

لقد مثل الجرجاني التيار الّذي راح يدرس القرآن الكريم، من حيث هو نصّ يمكن أن يُمارس عليه التأويل، وهذه النظرة التأويلية عنده مكنته من النّظر إلى مستويات النّصوص من وجهة نصيّة، قائلا: "إنّ هناك متشابهات خفيّة يدِقُّ المسلك إليها. فإذا تغلغل فكرك، فأدركها، فقد استحققت الفضل. ولذلك يشبَّه المدقِّقُ في المعاني بالغائص على الدّر"[8].

لذلك، كانت نظرية النّظم رؤية جديدة في إعجاز القرآن وتحديد أدبية التبليغ فيه، في إطارها السياقي، من حيث صلة المفردات فيما بينها، إذ الأدبية عنده، "تسعى إلى اكتشاف الكنه الدلالي القائم على التأويل واستدعاء الصورة المعنوية من أخرى حسيّة شاهدة، وهو ما عبّر عنه بمعنى المعنى"[9]. ويمكننا هنا أن نقول، أنّ هذه النظرية راعت "الخاصية التحويلية للعلامة اللسانية، وقابليتها للانتقال من حقل إلى آخر لغرض يقتضيه السياق، فجعل همّه الأول أن يعطي مفهوم الاتساع حقه، بتحديد المجال الإدراكي الذي تتحرر فيه العلامات"[10]، فيقول: "اِعلم لهذا الدّرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اتساعًا وتقننًا، لا غاية إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين، الكتابة والمجاز"[11]. لا شكّ أنّ الجرجاني يسعى إلى محو الفاصلة بين المتباعدات، إذ بالمجاز تزول المسافة بين الدّال وتدليله، ويقول: "وجملة الأمر أنه، إنّما يتصور أن يكون لمعنى أسرع فهما منه لمعنى آخر، إذا كان ذلك مما يدرك بالفكر، وإذا كان مما يتجدّد له العلم به عند سماعه للكلام"[12].

لقد فرّق الجرجاني بين المعنى المستفاد من اللّفظ في وضع اللّغة، والمعنى المستدلّ عليه بمعنى اللّفظ، الذي لا يتشكّل إلاّ بعملية ذهنية يقوم بها المتلقي مستعينا بالسياق الذي تنتمي إليه صورة ما، فالصورة تملك معناها الأول بمقتضى الوضع اللّغوي، ولكنّها تخلق معنى آخر يظلّ في حاجة إلى استكشاف، لذلك اشتغل عبد القاهر على النظم مبينا أطره، وجمالياته. وأدرك قبل غيره، أنّ لا مزية للفظ إلاّ من خلال السياق، وأنها لا تؤدّي معنى من المعاني إلاّ في نطاق التّأليف، "فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلق له بصريح اللفظ"[13].

إن نظرية الجرجاني في الحقيقة ربط بين المعنى والسياق، بين الخطاب والتأويل، وفي هذا يقول: "واعلم، أن ممّا هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك، في توخي المعاني التي عرفت أن تتحدّ أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يُحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه هاهنا، في حال ما يضع بيساره هناك"[14].

إنّ المتتبّع لأصول نظرية النظم، يدرك أنها مبنية على أسس لغوية متطورة، قوامها التمييز بين اللغة والكلام وإلى جانب ذلك نلاحظ إصراره على ربط الألفاظ بدلالتها ربطا منهجيًا، وهو يسعى دائما للكشف "عن خصوصية الدلالة اللغوية وارتباطها بقابليتها للدخول في علاقات نحوية، هي التي تنتج دلالة العلامات اللغوية، فالفرق بين كلام وكلام يعود إلى مقدرة المتكلم وكفاءته في استخدام قوانين النحو"[15].

إنّ عبد القاهر بتبنيه لنظرية النظم، توصل إلى دراسة النظام اللغوي على مستوى النّصّ بعد أن كان على مستوى اللفظة، فالنظم إجراء يتيح إمكانات التأويل، كما يتيح "لا نهائية الاختيارات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتاحة لدى المتكلم من خلالها، فالنظم إنتاج للدلالة، وللمعنى الذي تعتمد أساسا على تفاعل مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية من خلال علاقة التركيب والاستبدال"[16]. أي من خلال بعض الظواهر الأسلوبية على مستوى النّصّ، والمتمثلة في التقديم، والتأخير والحذف والذكر والتكرار، أو عند مستوى العلاقات بين الجمل، كالوصل والقطع والعطف والاستئناف، أو على مستوى الدلالة كالكناية والاستعارة والمجاز.

وقد أكّد الجرجاني في أكثر من موضع، على أنّ المعنى الناشئ بالكلام مختلف عن معاني الوحدات اللغوية المكونة له، "فتصبح العلاقات التي ينشئها المتكلم بين وحدات السياق، هي الدالة لا الكلمات في حدّ ذاتها، وينم هذا عن فهم عميق للتّحوّل الذي يطرأ على الظاهرة اللغوية وقت يصوغها المتكلّم"[17]، لقد كان الجرجاني واعيا بدور المتلقي في فهم النص، وبخلق الدلالات المستقاة من السّياق. لهذا، رأى بعض الباحثين إدراج نظرية النظم داخل الإطار التوليدي، وبالخصوص النماذج التوليدية القائلة بقاعدة المكوّن الدلالي[18]، لأنهم استنبطوا من قول الجرجاني: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وضرب آخر، أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[19].

الإعجاز وعلاقته بالتفسير القرآني:

لقد شغل الإعجاز الجرجاني، ذلك أنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، مسايرا لكلام العرب في مخاطباتهم غير أنه أعجزهم وتعالى عنهم في نظمه وبنائه فكان معجزا، استمدّ مادته من اللّغة، من حيث هو نصّ واضَعَ العرب على لغتهم، لكنّه أرسى إعجازه، مبرزا أنّه المتفرّد في تعامله مع ألفاظ اللّغة، التي لا تستقيم معانيها، إلاّ ضمن علاقات نظمية سياقية، وعلاقات استبدالية. كما أحدث تباعدا مع الموروث الكلامي العربي المتمثّل أساسا في الشّعر، وبذلك يكون القرآن فرقانا على مستوى الدّال والمدلول، حيث أحدث محدّدات أسلوبية، وتركيبات جديدة حرّكت الأفهام والوجدان، فاعتنقته وآمنت بتعاليمه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن خلال هذا ندرك أنّ قضية الإعجاز حقيقة بالاهتمام، نظرا لكونها تفتح المجال للبحث في علاقات الخطاب باللّغة من جهة وبالمتلقي من جهة أخرى، ذلك أنّ الإعجاز يتبدّى بقدر كبير في حركة القرآن البلاغية، داخل ممكنات اللّغة الحاملة لذاك الخطاب. وفي هذا يقول الجرجاني: "أنّا إذا كنّا نعلم أنّ الجهة التّي منها قامت الحجّة بالقرآن، وظهرت وبانت وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة، تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك، إلاّ من عرف الشّعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب"[20].

إنّ الجرجاني يولي اهتماما بمتلقي الخطاب، إذ اعتبر أنّ القرآن ببلاغته المعجزة قام على تحقيق الوظيفة التأثيرية، المرتبطة بخاصّية تلقي الشّعر، فإنّ كانت فكرة الإعجاز قد ارتبطت عند الجرجاني بفعل التأثير، فإنّنا في مقام آخر نجد أنّها تعلّقت بفكرة التّأمّل من أجل بلوغ مرمى الإعجاز، يقول: "فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبّرونا عنهم، لماذا عجزوا؟ أعن معان من دقّة معانيه وحسنها وصحّتها في العقول؟ أم عن ألفاظ من ألفاظه؟ فإن قلتم: عن الألفاظ. فما أعجزهم عن اللّفظ؟ أم ما بهرهم منه؟ فقلنا ومجاري ألفاظها أعجزهم مزايا ظهرت في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومواقعها"[21]. إنّ الجرجاني في مباحثه البلاغية "يؤسس منهجا بيانيا في تفسير القرآن، على نحو ما، إذ أبرز في الدّلائل، القيم الجمالية للصور البيانية في القرآن الكريم، ممّا احتوت عليه من مجازات واستعارت، وكتابات وتشبيهات، وتخييل، ووصل وفصل وقصر، وبيان العلاقة بين ثنائية اللّفظ والمعنى، واستكناه الدّلالات الحالية والمقالية"[22].

وفعلا كان هذا ما حمل الجرجاني على الكلام في الإعجاز، إذ يقول: "وجملة ما أردت أن أبينه لك، أنّه لابدّ لكلّ كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلّة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وهذا باب من العلم، إن أنت فتحته اطّلعت منه على فوائد جليلة، ومعان شريفة، ورأيت له أثرا في الدّين عظيما، وفائدة جسيمة، ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التّنزيل، وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلّق بالتّأويل"[23].

إنّ نظرية النظم نشأت في كنف البلاغة القرآنية، "وأخذت عند التجربة الأدبية مع القرآن مسارًا بلاغيًا خاصا ويظهر ذلك في وقفاته الطويلة مع المجاز والاستعارة، بهدف استظهار الغاية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعبيرية في ظل الصور الفنية التي حواها الخطاب القرآني[24]، وذلك كله قصد استيعاب الصور والظلال في إعجاز القرآن، يؤكّد ذلك عندما يتعرض لبعض الشواهد القرآنية، نذكر منها على سبيل المثال، قراءته لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[هود/ 44]، مقررًا إعجازها، وذلك بارتباط الكلم ببعضه البعض بحيث لا تكتسب الألفاظ الواردة في الآية معناها ولا يُحاط بدلالتها، إلا بانتظامها في السياق الواردة فيه، إذ يقول في هذا: "هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟"[25].

وبعد أن يفكك وحدات الآية واقفا عند الأمر (ابلعي)، والنداء (يا أرض)، والفعل (غيض) الذي جاء على صيغة فُعِلَ، ثم التأكيد والإقرار بقوله تعالى: (قضي الأمر)، النهاية المختومة بإضمار السفينة والذي يعتبره الجرجاني شرط الفخامة، والدلالة على عظم الشأن، ثم يختم تحليله قائلا: "أفلا ترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتّساق العجيب؟"[26]. لقد احتفى الجرجاني بالتمثيل الوارد بالنّصوص القرآنية، لما تقتضيه صوره من مشاركة القارئ في تشكيلها، إذ أصّل لمفهوم الاستعارة كأصل من أصول المجاز، والمجاز في عرفه، تقنية منتجة للدلالة، ولهذا اتجهت عنايته إلى دراسة التراكيب اللغوية، وطرق أداء المعنى من خلال نظرية النظم، الذي بصر من خلالها إعجازية القرآن الكريم، وأسلوبه الفريد الذي واءمت ألفاظه معانيها في سياق اتّسم بالانسجام والاتّساق.

إنّ الإعجاز قضية دلالية في أصولها، تفطّن إليها الجرجاني ففرّق بين الكلمة في ظاهرها وما تحويه من مدلول قابل للتأويل حسب مقتضى الحال على حدّ تعبيره في أسرار البلاغة، فقال: "إن اللفظ أصلاً مبدوء به في الوضع ومقصود، وإن جرّبه على الثاني، إنما هو على سبيل الحكم يتأتى إلى الشيء من غيره"[27]. إنّ الجرجاني وهو يؤصّل لنظرية النّظم، شغله هاجس الإعجاز القرآني، الذي يكمن في النّص ذاته وليس خارجا عنه، إنّه من مادّته القولية، وأسسه الجمالية. كما سعى إلى مقاربة النّص القرآني من وجهة بيانية، ودلالية، قوامها علاقات سياقية، ممثّلة في نظرية النّظم، وعلاقات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استبدالية مثّلها إنجازه العلمي المعروف بمعنى المعنى. فمن هذين الإنجازين استطاع الجرجاني أن يؤسس لأدبية التفسير القرآني.

وما نخلص إليه أن القرآن العظيم كان تحديا بلاغيا للعرب جميعًا، فنبّه عقولهم ومداركهم إلى تلك المميزات البيانية والبلاغية التي تفرد بها، فلا عجب أن نجد أن الكثير من البلاغيين والمتكلمين نظّروا للمسألة مقتربين مع الجرجاني في مفهومه الشامل للنظم. إنّ الغاية من هذا كله أن النّص القرآني لم يخضع لمنهج قرائي واحد، بل تعدّدت، وتشعّبت طرق مقاربته، متلوّنة بلون المذهب والانتماء، ولكنّها لم تخرج من دائرة الدّلالة، ولم تتعدّ إشكالية اللفظ والمعنى المرتبطة بوجوه البيان، ولم تتجاوز حدود اللغة العربية كمحدد أساسي من محددات المعرفة التي صدر عنها كل نظام سواء كان بلاغيا أو أصوليا أو عرفانيا.

مراجع البحث وإحالاته

1 – محمد العمري، البلاغة العربية ـ أصولها وامتدادها ـ إفريقيا الشرق، المغرب، (د ت) 1999، ص 23.

2 – ا بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح:الحوفي، دار النهضة،القاهرة،1959، ص:110.

3 – الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ص 351.

4 – ينظر الكشاف، ج1، ص 139.

5 – الجابري، بنية العقل العربي، ص 31.

6 –انظر في ذلك الآيات:[المائدة:92]،[النحل:35]،[العنكبوت:18]،[يس:17]،[آل عمران:20]،[الرعد:40].

7 – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 30.

8 – الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 18.

9 – أ.د. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني وأدبية التلقي، ص 30.

10 – د. بكري عبد الكريم، "أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث"، الحضارة الإسلامية، عدد 6، ديسمبر 1999، معهد الحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، ص 52.

11 – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 204.

12 – المصدر نفسه، ص 206.

13 – نفسه، ص 38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14- نفسه، ص 83.

15- نصر حامد أبو زيد، آلية التأويل وإشكالية القراءة، ص 93.

16- نصر حامد أبو زيد، النص، السلطة، الحقيقة –الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة- المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997، ص 84.

17- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 508.

18- انظر: المرجع نفسه، ص 508.

19- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 27.

20- المصدر نفسه ، ص 7.

21- نفسه، ص 32.

22- د. محمّد عباس، "أدبية التفسير عند عبد القاهر الجرجاني"، حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، جامعة وهران، ع3، 1996، ص 12.

23- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 33-34.

24- د. محمد عبّاس، "أدبية التفسير عند عبد القاهر الجرجاني"، ص 11.

25- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 37.

26- انظر: المصدر نفسه، ص 37.

27- الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 366.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com